تحول القيم الثقافية وتأثيراتها في التوجهات الجديدة للفن الاردني المعاصر

مقدم البحث: الدكتور عبدالله حسين عبيدات

استاذ مساعد / كلية الفنون الجميلة_ قسم الفنون التشكيلية _جامعة اليرموك_الاردن

مقدمة

شهد العالم في القرن العشرين جملة من التطورات الثورية في مجالات عديدة غيرت مسار الحياة الانسانية للمجتمعات، و على اثر ذلك ان اصبح الفن يتفاعل مع التحولات الفكرية والتكنولوجية والثقافية بكيفية واهداف جديدة، وبدوره افرز ذلك انماطا من الثقافة الجديدة، بدأت تتسارع وتيرة تطوراتها وفقا للثورة المعلوماتية العالمية وانتشار الفكر العولمي، وانتشار افكار الحرية الفنية والجرأة والانفتاح والتفاعل والتاثر بالثقافات العالمية، كل ذلك وضع الفنان المعاصر امام خيارات جدلية بين الثقافات المحلية وبين الثقافات العالمية، ويعتبر الفن الاردني من الفنون العربية التي بدأت تتاثر بالتوجهات الثقافية العالمية ضمن مرتكزات واهداف جديدة، وفي هذا البحث سوف يتعرض الباحث الى مناقشة اهم التطورات الفكرية في الفن الاردني واتجاهاته المعاصرة التي، والعوامل التي ساعدت في ذلك ، حيث تاثر الفن الاردني منذ التسعينات بشكل واضح، من حيث الفكر الفني واللغة البصرية، والموضوعات والتوجهات التي بدأت تعطي سمات جديدة في مسيرة الفن الاردني.

ملخص البحث

يدور البحث حول دراسة التطورات الفكرية في الفن الاردني المعاصر منذ بدايات الالفية الجديدة والناتجة عن تحول القيم الثقافية، وقد تناول الباحث في المبحث الاول دراسة نشأت وتطور الحركة الفنية الاردنية، انطلاقا من التعرف على اهم المرتكزات التي تعاملت معها منذ نشأتها وحتى بداية التسعينيات، حيث ركزت على كل ما يرتبط بالحياة الاجتماعية المحلية، والتاريخ والموروث والطبيعة، اما المبحث الثاني فيدور حول المعطيات الجديدة التي اثرت في توجهات الاردني منذ منتصف التسعينات، ممثلة بالعوامل التكنولوجيه وتطور وسائط الاتصال والعوامل السياسية، والحرية الثقافية والانفتاح والتطور في تدريس الاساليب الحديث والتقنيات المعاصرة في الفنون. واما المبحث الاخير فقد خصص للنتائج التي اكدت على ان الفن الاردني اصبح يتجه لتقليص الموروث والهوية الثقافية للعمل الفني، متجها نحو والتوجهات الفنية المعاصرة التي تأثرت بالفكر العولمي والتكنولوجيا والتوسع في الانفتاح والحرية في طرح الموضوعات خصوصا موضوعات المرأة والموضوعات التي تركز على توجيه النقد الاجتماعي، كما تضمنت النتائج الاشارة الى اهمية الخامات الجديدة في تحول القيم الثقافية للفن الاردني التي بدأت تدخل الى المشهد البصري في الفن الاردني المعاصر.

مشكلة البحث

تتلخص مشكلة البحث في ان منظومة من التحولات الفكرية والثقافية والاسلوبية، بدأت منذ اواسط التسعينيات تفرض معطيات محددة ادت الى تحولات في بنية الفن الاردني، ولم يتم دراسة تلك التحولات الثقافية واثارها على الفن الاردني المعاصر وعلى توجهات الفن الاردني وخصوصا فئة الفنانين الشباب.

حدود البحث:

سيتناول البحث تحول القيم الثقافية في الفن الاردني في الفترة الواقعة بين عامي 1995 وحتى عام 2009.

فرضية البحث:

تاثر الفن الاردني المعاصر لجملة من التحولات، وفقا لتحول القيم الثقافية التي شهدتها الساحة الاردنية منذ منتصف التسعينيات، وذلك بفعل حالة الانفتاح الثقافي والتاثر بالاتجاهات الفنية العالمية و تطور وسائل الاتصال والمعلومات.

المبحث الاول

نشوء وتطور الحركة التشكيلية الاردنية

ظهر الفن الاردني متاخرا نسبيا عن الدول الاقليمية المحيطه كالعراق وسوريا ومصر، ويعود ذلك لعوامل ديموغرافية وسياسية وثقافية واجتماعية، حيث تظهر بواكير الفن المعاصر الاولى في الاردن مع بدايات نشوء الاردن ككيان سياسي، وكان ذلك حين بدأت النهضة العربية الكبرى بالظهور عام 1916 بقيادة الشريف حسين بن على الذي حرر البلاد من العثمانيين(علي، 11- 14، 1996)، ومع ارساء دعائم الاستقرار منذ النشأة وحتى الثلاثينات فان تلك البواكير اخذت تظهر على ارض الواقع، والبداية الاولى لفن تشكيلي على ارض الاردن كانت قد ظهرت مع تاسيس امارة شرق الاردن على يد فنانين وافدين كالفنان اللبناني عمر الانسي والفنان التركي ضياء الدين سليمان والفنان السوري احسان ادلبي(ابوزريق، 1990، 51)، وشكل هؤلا الفنان الانطلاقة الاولى الفن الاردني، وقد كانت البدايات تركز على الموضوعات الطبيعية والتاريخية، حيث كانت المفضلة والمحببة لدى المهتمين ومقتني الاعمال الفني من النخب الساسية الاجتماعية، وتمتعت البدايات بنوع من الرعاية السياسية على الرغم ان الدولة كانت في مراحل التاسيس الاولى.

فمنذ منتصف الاربعينات حتى نهاية الخمسينات بدات تتشكل اساسيات البدايات الحركة التشكيلية المحلية، حيث بدأت ظهور الممارسات الفنية شبهة المنظمة والتي تاخذ شكل تنظيم واقامة المعارض الفنية سواء في المراكز الفنية المحلية ام في المراكز الثقافية الاجنبية، وما ميز تلك الحقبة المرحلة ان الفن الاردني انذاك كان مرعيا من قبل جهتين كان لهما دورهما في توجيه مسار التطورات وتقديم الدعم المادي والمعنوي للفنان الاردني خلال مسيرته التطورية ، وتمثلت الجهة الاولى بالمؤسسات الرسمية الراعية للثقافة والفنون، اما الجهة الثانية بحسب وجدان علي، فهي المؤسسات الثقافية الاجنبية، حيث ساهمت برعاية الفنون في الاردن، ممثلة بالمراكز الثقافية البريطانية والفرنسية والالمانية والمركز الثقافي الامريكي، الى جانب ذلك فقد ساهمت بعرض العروض الفنية للفنانين الاردنيين والاجانب، مما اتاح للفنانين الاردنيين الاطلاع على التجارب الاجنبية بشك محدود انذاك(وجدان علي، 1996،23). وازداد نتيجة لانتشار تلك المراكز الثقافي الاحنبية ونتيجة لدخول الفنانين ارماندو الايطالي والسوري ضياء الدين وجورج البيف (1) وعمر الانسي سليمان الى زيادة النشاط الفني وعدد الفنانين وفي الخمسينات بقيت الظروف مشابهة للمرحلى السابقة في نوع الموضوعات.

(1) عمر الانسي، بلا عنوان، زيت على قماش ، دون تاريخ

و منذ اواسط الخمسينات وحتى اواسط الستينات بدا المشهد الفني في الاردن يظهر بملامح جديدة تمثلت بتطور القدرات الفنية للفنانين وبمحاولة الفنان الاردني تشكيل هوية وملامح ثقافية للفن الاردني، وتشكل ذلك بحسب صادق من من جراء تاثير تناول مسألة التراث والمعاصرة انذاك، والتي اصبحت تتوطد في البلاد العربية كمصر والعراق وسوريا (صادق، 66، 1995)، كما لدى الفنانة فخر النسا زيد شكل(2) وقد بدات تلك الملامح بالاعتماد على الاساليب التجريدية والواقعية والتعبيرية.

(2) فخر النسا زيد ، رقص الحياة، زيت على قماش

اما السبعينات فقد تكونت الملامح بشكل اكبر وبوعي اكثر، وذلك برأي حماد يعود لعاملين، الاول عودة بعض الاكاديميين من بعض الدول الغربية والولايات المتحدة(حماد، 10، 1978) ، والثاني ان الفعاليات الفنية ساعدت النى المتزايدة من العروض الفنية التي اقيمت من قبل الجهات الرسمية الراعية وتلك الاجنبية الى ولادة وعي ثقافي بالفن، ويقول صادق " هذا الوعي ادى الى ظهور وجه من الوجوه الثقافية التي لم يألفها الاردن من قبل وذلك بظهور المعاهد الثقافية والنوادي كمعهد النهضة العلمي ونادي التعاون الثقافي في عمان ومدسة العروبة في اربد واستقباله للمعارض في قاعاتها... كما ان المراكز الاجنبية قد قدمت الدعم الثقافي ، حيث وفرت في مكتباتها الكتب الفنية، وساهمت باستضافة العرقض الفنية للفنانين الاجانب والاردنيين(صادق، 1995، 74) الذي ادى بطبيعة الحالى الى زيادة عدد الفنانين تدريجيا. وكان من ابرز مرحلة السبعينات ان جلب الفنانون الاردنيون تاثيرات البلاد العربية التي درسوا فيها ومن هم الفنان محمود صادق ومحمود طه (3)

(3) محمود طه، المأساة القدس ، جدارية خزفية، دون تاريخ

وفي الثمانينيات بدات مراحل جديدة تتوطد في بنية الفن الاردني المعاصر ويعود ذلك لعاملين اساسيين هما تأسيس كلية الفنون الجميلة في جامعة اليرموك، اما العامل الثاني تطور الوعي الثقافي لدى الفنان الاردني وعودة الطلبة المتخرجيين من الاكاديميات العربية والعالمية، وتزامن ذلك مع تأسيس متحف الحياة الشعبية في جامعة اليرموك، والذي اهتم باحياء التراث والفنون الشعبية المحلية، اما اهم سمات هذة المرحلة فهي، العامل الكمي حيث ظهر انتاج فني اكثر تنوعا واكثر من حيث الكم والنوع، وانقسم الفن الى التركيز على مشهدين، الاول وهو السائد الذي يتناول الحياة الاجتماعية والمشاهد الواقعية والحياة اليومية ، الموضوعات التاريخية والاثرية الموضوعات السياسية كما في اعمال عمر بصول وعبد الحي مسلم الذي بدو يؤكدون على حضور الهوية الاجتماعية في العمل الفني شكل(4، 5)،

(4)عمر بصول ، نساء من اربد، زيت على قماش

(5) عبد الحي مسلم، حياة شعبية فلسطينية، مواد مختلفة

اما المشهد الثاني فبدا يومئ بتاثيرات عالمية، وعلى الرغم من قلتها غير انها سجلت ادخال اساسيات لمرحلة جديدة تمثلت بمرحلة التسعينيات، ومن اولئك الفنانين نسمه النمري وسامر الطباع **شكل (6، 7)**. وما ميز الثمانينيات انها بدات تتشكل خلالها حركات تشكيلية كحركة الفنانون الشباب عام 1981 برئاسة الفنان ابراهيم ابو الرب وكلا من محمد ابو زريق اسحق نحله اروى التل حنان الاغا هيام اباظة عدنان يحيى محمد عيس دينا الزعبي يوسف بداوي وخلا ل هذه المرحلة برز

الاسلوب السريالي الى الساحة الفنية ولكن لم يبتعد عن التعامل مع الواقع المحلي والحياة اليومية والحياة الاجتماعية(علي، 33- 34، 1996).

(6) منى السعودي ، تكوين نحتي ، دون تاريخ

(7)سامر الطباع، تكوين نحتي، رخام

وعليه فالفكر الفني الاردني خلال الثمانينيات تجسد بحالتين الاولى، تتمثل بالحالة الثقافية العامة التي تميزت بالتركيز على عملية احياء الموروث والهوية الثقافية، اما الحالة الثانية فتتشكل من الخصوصية الاجتماعية التي تكونت من مجتمع متنوع الاطياف، وبتنوع التجارب سواء الفردية او تلك التي انتمت الى جماعات فنية او مراكز معينة ، لكنها معظمها حاول اعداد عمليات مدروسة ومنظمة للرموز الفنية التاريخية، كالتكوينات الاربيسكسية والخط العربية والاشكال المعمارية والمدينة العربية ، وفي احد اشكال الاهتمام بالتاكيد على الهوية التاثر بالارابيسك والخط العربي، ما قام به كل من افيميا رزق حفيظ قسيس رفيق اللحام توفيق السيد، محمود صادق، ديانا شمعونكي و عزيز عمورة(8، 9)، وبحسب بني خالد ان الفنان الاردني استطاع توظيف الخط العربي محققا علاقات تشكيلية اتسمت بالتناسب والرشاقة والبعد عن الفجاجة، اما من ناحية الدلالة فقد ارتبطت بالموروث بما يحمل من عمق حضاري(بني خالد، 2000، 92)

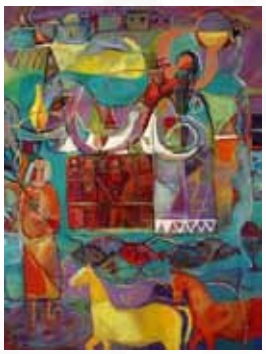

(8) محمود صادق ، حياة شعبية ، زيت على قماش

(9)عزيز عمورة، مخطوطة، الوان مائية على ورق 1983

وعليه فما بني من تطورات في تركيبة الفن الاردني، قد وطد واكد مرجعيات وثوابت اكسبت الفن الاردني حينها قدرا من الثوابت الحيوية والتطورية التي كونت منظومة الهوية الثقافية ، فقد تبنى الفن الاردني في ضوء تناول مضامين لها علاقة وصلة بواقع المجتمع الاردني، وفقا لتطور المجتمع الاردني تاريخيا وسياسيا وفنيا، وذلك بالاعتماد على البناءات الذهنية المتقاربة والمتحاورة مع الواقع، وعلى الصعيد الاجتماعي ساهم ذلك بتوليد الفكر الواعي لدى المتذوق الاردني من جانب، واغناء المضمون الفني لدى الفنان من جانب اخر، فقد كانت اتجاهات البحث في التراث الثقافي احد مرتكزات الثمانينيات، وذلك تاسيسا فكريا لمفهوم الهوية والبحث عن الذات، وبحسب المفلح فان الفنان الاردني بعد دراسته وتحليله الواعي واستزادته من الخبرات الفنية التاريخية قد زوده بخبرات معرفيه متراكمة. مكنته من الوعي بجذوره ، وجعلت منه يقدم ابداعات اصيله.(المفلح، 2001، 47).

وكانت الظروف والمستجدات ذاتها تتزامن مع عودة الحياة الديمقراطية نتيجة لاضطرابات سياسية داخلية مطالبة بالاصلاح السياسي عام 1989 بما يسمى ب(هبة نيسان)، وتبعها ظروف استثنائية للجوء فنانين عراقيين بكم كبير نتيجة الحرب عام 1991، اضافة لحالة من الانفتاح والاندماج الاقتصادي والثقافي وانتشار للفكر العولمي وتغلغل المد التكنولوجي في مجال الاتصالات كانتشار الانترنت والفضائيات الى العالم، ونتج عن ذلك ظهور تحول في القيم الثقافي التي اظهرت تاثيرا واضحا على الفن الاردني المعاصر في بنيته البصرية واساليبه وتقنياته وبنيته الفكرية.

المبحث الثاني

التحول والمعطيلت الثقافية الجديدة

تعتبر التسعينيات مرحله مفصلية في مسيرة الفن الاردني المعاصر، وذلك نظرا لما شهدته الساحتين الاقليمية والعالمية من متغيرات، وتعتبر منظومة التغيرات المتمثلة بالتطورات السياسية والثقافية، والاجتماعية والاقتصادية، والتكنولوجية، وانتشار الفكر العولمي وما صاحبه من تميز في استخدام وسائط الاتصال والمعلوماتية،حيث شكلت تلك المعطيات مفترقات فكرية للتاريخ الانساني ولثقافة الانسان المعاصر، وبالتالي في مشهد الثقافة الفنية، لذلك سيحلل الباحث اهمية تلك المتغيرات انطلاقا من محاولة تحليل عوامل التحول في بنية الصورة في الفن الاردني واثرها على تحول الاساليب والقيم الفكرية للفن الاردني، وشكلت التطورات التكنولوجيا والعوامل السياسية وثقافة العولمة وتطور الاتصالات اهم العوامل التي هيأت الى تحول في البنية الثقافية للفنان الاردني.

اصبح الانشغال بقضايا الساعة الاولى في مرحلة ما بعد منتصف التسعينيات هو الشغل الشاغل للفنان الاردني، وكذلك للموضوعات الاجتماعية ذات العلاقة بتحولات الانسان المعاصر وتحولات بنية الثقافة ، فقد بدأ. تدخل للمشهد الفني افكارا وموضوعات جديدة، وشكلت حرب الخليج اهم العوامل السياسية التي اثرت في بنية الفن الاردني المعاصر ، والتي نتج عنها دخول تجربة اكثر تنوعا على مشهد الفن الاردني، تمثلت بتعدد الاساليب والمدارس والاتجاهات والوسائط والموضوعات التي تراوحت بين القضايا المعاصرة وموضوعات الموروث وباساليب متنوعة وغنية، جلها ينتمي الى مدارس ما بعد حداثية مثل المدرسة اللا شكلية والنافو فن الانستليشن وفن البوب والفن المفاهيمي، وادى دخول اغلب الفنانين العراقيين واقامتهم وتسويق اعمالهم سواء داخل الاردن او خارجه الى احداث حركة حيوية نشطة وجديده كما ونوعا على المشهد البصري المحلي، فظهور جاليرات جديدة ارتبط بوجود والنشاط الكمي والنوعي للفنانين العراقيين واثر بمستويات عديدة، فدخول اكثر

من 300 فنان عراقي ادى الى احداث مشاهد بصرية جديدة على الساحة التشكيلية المحلية، ونتج عن ذلك حالتين. (مفاضله، 2017)

و يشير الباحث ان الاردن ورغم الصراعات الاقليمية خلا حقبة التسعينات، فقد تمتع بواقع سياسي مستقر وامن، واثر هذا على استقطاب الفنانين غير الاردنيين في الاردن، و كذلك في مشهد الصورة ومفهومها الفن الاردني وانتشار سوق الفن وتطور شكل الصورة، وتهيئة الجو والثقافة الفنية المحلية والوافدة للتطور والتعبير والانفتاح على العالم، وخاصة للتجارب الفنية العراقية، كما انتعش ظهور قاعات العرض والصالات الفنية والجالريات والعروض الفنية وازدهار سوق الفن في الاردن ، وقد جعل ذلك من الاردن بحسب صادق ومفاضلة مركزا لعرض وطلب الاعمال الفنيية وتسويقها في العالم وخصوصا في الامارت ودول الخليج الاخرى، وقد تصاحب مع هذا التطور الكمي والنوعي في المشهد التشكيلي على الساحة التشكيلية الاردنية تطورات ذاتية بدات تظهر تجارب تميل اكثر لاتجاهات ما بعد الحداثة واللاشكلية والانستليشن، الفيديو ارت الفن المفاهيمي وغيرها من الاتجاهات....(صادق ، 2015)، وقد بدأ ذلك بوجود عاملين مهميين:

- تاثيرات الفنانين العراقيين
- عودة الخريجين من الدول الغربية (الاوروبية والولايات المتحدة)، فقد جلبوا معهم تاثيرات الثقافة الفنية الغربية، مثل خالد خريس وخالد الحمزة، سامية الزرو ، سامر الطباع ، فعلى سبيل المثال فقد عرض خالد الحمزة تجاربه في فن الانستليشن الجديد بافكاره على الساحتين الفنية والذائقية ، اما خالد خريس فقد ذهب الى تذويب الشكل في الصورة الفنية، واختزل الالوان وتاثر ببول كلي وخوان ميرو، اما سامية الزرو سامر الطباع فقد استخدما نحت مواد السكراب من مخلفات المعادن المستهلكة والكولاج في تكوين صور فنية جديدة على واقع الثقافة البصرية المحلية ، وبرغم ان تلك الاعمال بكمها البسيط غير انها مثلت نوعا جديدا وجريئا من الطرح سيطر عليه منطق القناعات الفنية بالتاثيرات العالمية والمقاربة معها سيطر على الطرح اللفكري للقضايا المحلية، وقد كان لنمطية بعض الاساليب الفنية التي لم تعد قابلة للتطور حافزا على الطروحات الفنية الجديدة، وترافق مع كل ذلك حركة نقدية اكبر واكثر تنوعا رغم انها بقت في معظمها صحفية، كما ازداد عدد المؤلفات والدراسات التي تتناول تطور الفن الاردني وتبحث به من زوايا متعددة، ابتداء من الدراسات الاثرية للفنون الاردنية القديمة ومن ثم فنون الحرف الشعبية وكذلك الفن الاردني المعاصر

تطور تكنولوجيا الاتصالات

لقد فتح التطور في تكنولوجي الاتصالات مجالات جديدة للفن ، حيث وفرت التكنولوجيا امكانيات جديدة، فادوات الاتصال كانت مصادر جديدية لتشكيل البنية الذهية للفنان الاردني لكافة الاجيال الفنية، كما تداخل تكوين الصورة كبنية فيزيائية وفكرية وفقا لادبيات الصورة التي تقترن بالمعلومات الرقمية والتي تحتمل التقليد والتكرار واستخدام وسائط وخامات وافكار جديدة عن المتداول ، فقد ادت ثقافة العولمة الى انتشار ثقافة التلفزيون الفضائي العولمي ، وقد اوجد ذلك ثقافات متنوعة وخيارات ايدولوجية متعددة، وتداخل في المعلومات وتحريض لنيل الحريات الفكرية والاجتماعية، (شمعون، 2012)

.، وتعتبر الفنانة هيلدا حياري احد الفنانات اللواتي استخدمت التقنيات البصرية المعاصر كالفيديو والانستليشن للدفاع عن حقوق المرأة في عملها بعنوان طرابيش(10)

(10)هيلدا حياري، طرابيش، فيديو، 2008 (11) هيلدا حياري، ألم، أكريليك على كانفاس، 2013

كما اصبح الفن الاردني تفاعليا مع ما هو جديد بصريا ومفهوميا حتى في التعامل مع الموصوعات المحلية، ولكن بمديات اكثر اتساعا في تقنيات الاعمال والغاء الحدود التي تبين معالم الاشياء " فكل من الفنانين عبدالرؤوف شمعون ووجدان علي صارا يبحثان ضمن توجهات تجريدية وحروفية موظفين عناصر معمارية تنتمي للمدينة العربية وقد ظهرت موضوعات جديدة شكلا ومضمونا على الساحة المحلية تمثلت بتوجهين هما اللاشكلية، والتجريد (12، 13)" (مفاضلة، 2017)

(12)عبدالرؤوف شمعون ، ظل وضوء، اكريليك، 1998 **(13) وجدان علي ، بلا عنوان، الوان مائية، 1992**

وما احدثته الوسائط وتكنولوجيا الاتصالات انها جعلت المتلقي الاردني يتعاطى الصور الرقمية بشكل كبير جدا، واصبح كلا من الفنان والمتلقي متاثيرين ثقافيا من حيث سعة المادة الثقافية وانفتاحها والتفاعل معها، وخلال هذة الحقبه سعى الفنان الاردني للاقتراب من الجمهور برغم غرابة ما يقدمه المشهد الفني الجديد ، لذا حاول الفنان الاردني خلال حقبتي التسعينات عرض الكثير من الاعمال الفنية في الهواء الطلق وتحديدا وخصوصا كلا من سامية الزرو كرام النمري منى السعودي وخالد الحمزة ، ويعتبر ذلك بحسب مفاضلة تعبيرا عن حالة التداخل بين الفن والحياة التي شهدناها في الفنون العالمية المعاصرة وبطبيعة الحال هي انعكاس لتلك الحالات.(مفاضله، 2012).

العامل السياسي

تضمنت حقبتي التسعينات والالفية الثانية الكثير من التحولات السياسية في الاردن، مما كان له تاثير كبير على مفهوم الصورة، والنهج الفكري للصورة ولغتها البصرية، والثقافة الاجتماعية، وقد بدأت تتضح ملامح زيادة الوعي السياسي والفكري من خلال الفن، فالانتخابات البرلمانية كان لها اصدائها في الحياة السياسية والاجتماعية مما كان له تاثيرات واضحة على التفكير الفني والاجتماعي، حيث ولدت حراكات فكرية واجتماعية وانماطا جديدة من التفكير، والفنان باعتباره جزءا مهما من الوسط الاجتماعي فقد كان شاهدا على صور الاحداث والشعارات اليافطات والاتجاهات الفكرية للمرشحين، وهنا اصبح الفنان الاردني مسؤولا امام تركيب السيكولوجيا الاجتماعية وتحليلها، والواقع السياسي المتغير والمليء بالشعارات، والاحداث سواء التي تعبر عن التركيب الاجتماعي او التي تتفاعل مع القضايا الاقليمية المتزامنة مع الحملات الانتخابية، وقد صار الفن يقدم انطباعات نقدية لسيكولوجيا الانتخاب والمرشح، وهذا يؤكد مدى استمرار ارتباط الفنان بالهم الوطني ولكن بحيثية غير مألوفه، و ببنية جديدة للصورة تمثلت باساليب فنية معاصرة واغلبها مابعد حداثية، ويعتبر الفنان خالد الحمزة من الرائدين في مجال البحث في هذا الموضوع (14).

(14) خالد الحمزة، الكرسي والمقعد ، بروشور، 2003

وقد كان لتاثير الحملات الدعائية للانتخابات وصورها واشكالها تاكيدا على تاثير الميديا الدعائية على المتلقي، وبنفس الوقت هي ثقافة بصرية جديدة على الثقافة وبالتالي على الفن الاردني، وبدأت تلك الظاهرة تشكل نوعا من التوجه الجديد للفكر الفني القائم على النقد السياسية والاجتماعي للمعطيات الجديدة فيما يتعلق بفكرة الديمقراطية والانتخابات. ان العوامل الثقافية الجديدة كانت قد ساعدت على ظهور اشكال جديدة من ممارسة التفاعل مع الفن على الصعيد المحلي، وكان من اهداف تلك الانماط الجديدة خلق تجربة جديد يمارسها المتلقي فكريا وبصريا، ويتفاعل معها ويشهد مراحل انتاجها وتبدا وتنتهي اثارها من الوجود امام المتلقي ذاته، وابدى الفنان الاردني خلال التحول المقرون بالفكر الفلسفي الجديد لاستحضار اي فكرة او مضمون في سياق التفكير الفني الجديد سواء اتفق ام لم يتفق مع ماهو مالوف او مع ما يتفق مع الاعراف والتقاليد الفنية والاجتماعية المحلية، وهو ما ادى الى ايجاد تجارب تجمع بين البنية القصدية والبنية العشوائية او الحرة التي يؤديها الجمهور بالاضافة الى تجارب فنية مباشرة، مورست مراجلها من قبل الجمهور اول امام مرأه مباشرة، وهو ما حاوله الفنان الاردني من اجل فرض ثقافة الصورة الفنية في مقابل اي كمعادل بصري يقاوم او يحاول منفافسة الصور

الجديدة عبر الميديا التي اصبحت تمثل تيارا جارفا تزيل من الوعي سمات التامل والتفكير الفلسفي، وتلك المنافسة الحادة كانت لاثبات قدرة الفن على اثبات ذاته ودوره في مقابل التحولات الثقافية. ويعتبر كلا من خالد الحمزة وسامية الزرو غسان مفاضلة سماح حجاوي عريب طوقان جمانه النمري ديالا خصاونه رموزا لهذا التوجه، ويعتبر خالد الحمزة اول من استخدم اداء الجمهور في العمل الفني (14، 15).

(15) خالد الحمزة، البواية الغربية، فن انشائي، 1997 شكل(15)خالد الحمزة، بلا عنوان، مواد مختلفة(كولاج)، كولاج/ 2003

وما ميز التجارب البصرية الجديدة في المشهد البصري ان الصورة الفنية اصبحت تثير ملامح نفسية جديدة لدى المتلقي وتشكل نوعا من التحدي الفكري من حيث غرابتها، وموضوعاتها ووسائطها. ويعتبر تنوع المصادر الثقافية لدى الفنان الاردني والثقافة المعلوماتية وتاثير الوسائط والتكنولوجيا من اهم العوامل التي ادت الى الجرأة الثقافي في الطرح الجديد من حيث الشكل والمضمون ، واصبحت الطروحات الفنية الجديدة تشكل مماراس فكرية وبصرية للفنان والمتلقي(مفاضلة،2012)، وبحسب الناقدة ليلى الجوهري خضع الوسط الفني العربي " لتاثير نقاد الفن التشكيلي في صنع القرار الفني في أرجاء الوطن العربي بتشجيع شباب الفنانين على تبني الوسائط والمذاهب الموغلة في الغرابة والعبثية مع اعتماد الموضوعات والقضايا ذات الطابع الغربي."(جوهر، 2009). ويشير بليخانوف ان التبدلات التي التي تطرأ على البناء الذهني للفرد من جراء المستجدات الفكرية تنشأ وتكون نظما معرفية متجاوبة ومتناغمة مع التحولات المعرفية الخارجية، وينعكس ذلك في المتلقي بادراكه وتاثره بتلك النظم والبنى في جميع اداءاته ونشاطاته النظرية والعملية ومنها الفن(بليخانوف، 1977، 23) .

العامل الاقتصادي

استقطب الاردن خلال التسعينيات الكثير من الاستثمارات العالمية، وانشئت شركات كبرى في مختلف القطاعات وعلى نطاق واسع، وقد مول العديد من تلك الشركات الكثير من الفعاليات الفنية، وهذا ما جعل العمل الفني في الاردني يتاثر بتداعيات التحولات الاقتصادية، فكثير من المؤسسات العامة والخاصة في الاردن اصبحت تتسابق في دعم وتمويل اقتناء الاعمال الفنية والفعاليات ورعاية الفنانين، وهذا وضع العمل الفني في كثير من اتجاهاته تتبع رأس المال الاقتصادي وراس المال السياسي،

وذلك كشكل اكثر رقيا من اشكال الترويج الدعائي لاسماء تلك المؤسسات او لمنتجاتها، وبرغم حالة الانفتاح الثقافي اندماج الثقافة الفنية العالمية مع الصورة الاعلامية منذ ظهور فن البوب فقد ادت التاثر مباشرة بالصور الدعائية والاعلامية او اجزاء منها، ويقول مفاضلة " ان ذلك شكل كثيرا من الغرابة امام المتلقي، الذي بدت امامه مقلدة لصور تناسب ثقافات اخرى، وبالرغم من ذلك اصبحت الصورة الدعائية المعطى الثقافي الاكثر حضورا والاقدر على صوغ ثقافة المتلقي ، والتي جعلت من قبول المؤثرات العالمية اكثر قبولا وفهما لدى مستويات الجمهور "(المفاضلة، 2017).

وفي حين انتشرت الصراعات والحروب الاهلية في منطقة الشرق الاوسط والعالم ، فقد وفرت الميديا مصدرا معلوماتيا يشبع كافة الطموحات الثقافية الفكرية والسياسية، وقد لعبت الميديا دورا كبيرا على ايجاد الكثير من اعلاء شأن أفكار الحقوق المدنية للانسان، في حرية التعبير والمعتقد والممارسة، وحقوق المرأء والطفل، السلم العالمي الحروب والتحولات السياسة، حقوق التعليم، والحفاظ على البيئة، وقد طرحت طوقان قضية سياسية غاية في الحساسية للمستقبل العربي في عملها الشرق الاوسط الجديد وهو مشروع تقسيمي للوطن العربي بثرواته وخيراته ، ويتعتبر فن الانشاء أحد إتجاهات الخطاب الفني العربي المعاصر من حيث طبيعتها التفاعلية وتأثيرها .

(16) عريب طوقان، الشرق الاوسط الجديد ، فن انشائي، 2007

وتزامن مع التاثيرات السابقة عزوفا اكثر عن المحلية والتوجه نحو العالمية، فقد ترسخت خلال التسعينات وبداية الالفية الجديدة فكرة عدم الالتفاف الى الوراء و الجذور، والدعوة الى الحرية الثقافية، وقد زاد التنظير في هذا المجال من تنويع بنية الصورة ، وقد شجعت الافكار المعاصرة الى الاعجاب بالتكنولوجيا وامكتياتها واثارها على الصعيد الفني والاجتماعي، فالتداعيات الناتجة عن كون العالم اصبح قرية صغيرة، والغاء المسافات الجغرافية وتنامي مفهوم التجارة والربحية وتضخم القطاع الخاص، واتساع الصورة وتشعباتها وتداخلها مع محيطها ، كان مشجعا للفنانين الاردنيين الشباب للانخراط في تجريب جديد مع مادة الصورة الفنية العالمية كالبوب ارت والفن المفاهيمي والانستليشن(المفاضلة، 2017)، واصبح تناول موضوعات العالم المستهلك او المرتبط بالتحولات الاقتصادية مجالا خصبا للتجريب الفني التفاعلي، ويعد غسان مفاضلة من الفنانين الذين انجذبوا الى البحث في عالم المهملات والمواد المستهلكه، فقد طوع علب المياه الفارغة ومخلفات الاثاث

والمخلفات الصناعية من عجلات وبقايا قطع السيارات والالات وادخلها لعالم الصورة الفنية وفقا لفلسفة ورؤية جديده على المشهد الفني المحلي، وكان ذلك جزءا من فعالية ثقافية اقامتها شركة امنية في الاردن، حيث قام مفاضلة بوصع علب الماء الفارغة التي تحمل شعار (لوغو) شركة امنية داخل نوابض فولاذية شكل(17)

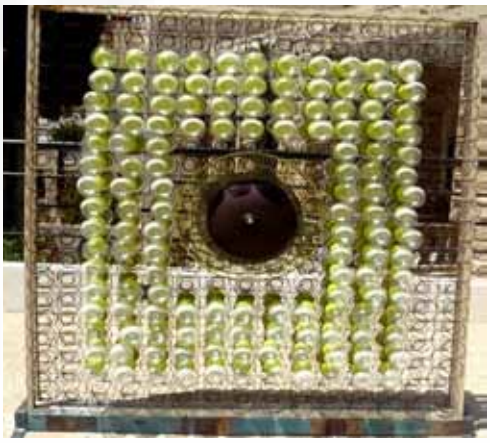

(17) غسان مفاضلة، بلا عنوان، فن انشائي، 2012

الانفتاح الثقافي وتطور البرامج الدراسية

ان الانفتاح وحالة المقاربات الثقافية وتداخل الحدود الثقافية والتحول والاتساع في مناهج التعليم للفنون ادى الى ظهور مفاهيم ايدولوجية جديدة في المشهد المعاصر للفن الاردني، ومن اهمها تحرير العمل الفني من التمثيل المباشر، والتحرر من الالتزامات الاجتماعية والفنية ، والبحث عن لغة بصرية معاصرة، والغاء المحددات الثقافية من الفكر الفني لدى الكثير من الفنانين الناجمة عن ما اشار اليه الباحث، وهي حالة ازالة الحواجز بين الفن والحياة.

فالتوجهات الجديدة للثقافة والفنون قللت تدريجيا من التطور في مسارات الموروث والثقافة المحلية والمؤثرات السياسية المعهودة، وبدأ التوجه نحو مسارات فكرية وتعبيرية جديدة وغير معهودة، وبدأت تاثير التوجهات الجديدة على كافة المشهد التشكيلي وعلى الفنانين وبالطبع اثرت نسبيا على المتلقي، وحكمت تلك التوجهات باختلافات نسبية في صوء ما شكلته الايدولوجيا والمرجعيات الثقافية والجيل، اي فيما شكلته تلك الاختلافات في طريقة التفكير الفني وطبيعة الموضوعات واختيارها وانتقاء ما يناسبها من اساليب، فجيل الفنانون الثاني كانو المباشرين الاوائل بالتغيير والانصراف عن القضايا المحلية او الاساليب التقليدية ، اما جيل الفنانين الشباب فقد تبنوا التغييرات الاكثر كما وتنوعا وخصوصا اولئك الذين تميزوا بخبرات فنية وبصرية عالميه، مثل هيلدا حياري، سماح حجاوي، علياء طوقان، داليا خصاونه، هيا عواد، بدر محاسنة، جمانه النمري، حنان خليل وغيرهم، ويتضح ذلك لدى كل من ديالا خصاونة في استخدامها للسوتيانات مخالفة للعرف الفني العام وكذلك تناولها لموضوع الفوتوغراف وإعادة تشكيلة كصورة فنية (، 2019).

(18) ديالا خصاونة، السوتيانة الاولى، 2008، عمل انشائي (19) ديالا خصاونة، بلا عنوان، تشكيل فوتوغرافي.

اما على صعيد التطور في منهجية التعليم الاكاديمي للفنون في الاردن وادخال تدريس الوسائط الرقمية في برامج التعليم الجامعي كاحد عوامل بنية الثقافة الفنية الجديدة، فالتطور في تدريس تقنيات التصوير الفوتوغرافي وتقنيات الكمبيوتر في الجامعات الاردنية، مثل جامعة اليرموك والجامعة الاردنية، وعمان التطبيقية وجامعة البتراء، وغيرها عملت على تطوير الخبرات والبرامج التعليمية في دراسة الفنون والميديا والوسائط المختلفة كاحد اهم مصادر انتاج الصورة، بدورها صارت تزود المجال الفني بالخريجين الجدد، الذين درسوا الاساليب الفنية العالمية، سواء التقليدية او مابعد الحداثية ممثلة بتقنيات الفن الانشائي والتصوير الفوتوغرافي، الفن المفاهيمي وتقنيات الكمبيوتر والتقنيات الرقمية، والموضوعات الكرنفالية، وقد شجعت الامكانيات الجديدة للوسائط القدرة على ممارسة الفن وزيادة عدد الفنانين في هذا المجال، واهتم العديد من الفنانين الشباب بهذا التوجه، ومن اولئلك سماح حجاوي، جمان النمري، هيا عواد شكل(20).

(20)جمان النمري، احتفال ، 2012، زيت على كانفاس

وفي محاولة للاشارة لاثر تلك العوامل بشكل اكبر على الفنانين الاردنيين يشير الباحث انه برغم تاثيره الشامل على الاجيال الفنية، لكنه يشير كذلك ان جيل الشباب كان اكثر مراقبة ومتابعة للوسائل المعلوماتية من جيل الرواد، ويقول شمعون" انه في عصر العولمة بدأ الاقبال من قبل جيل الشباب على المواقع الالكترونية وعلى اخر الاعمال العالمية وعلى المتاحف العالمية، والاقبال على موضوعات غريبة لا يبدو انها تعبر الا عن ارتباطات فردية في كثير منها متحررة من الالتزامات الاجتماعية " (شمعون، 2011) مما انعكس على تكوين البنية الذهنية للصورة الفنية لدى الجيل الجديد من الفنانين، فالصورة السريعة في الميديا وكثافتها ادى الى تغيير مفاهيم الثقافة والقناعات الاجتماعية، والى حالة انفصال جزئي عن الواقع ويتضح ذلك في

عمل الفنان الحمد الخالدي (21)، وقد كان لثقافة الافلام وتقنياتها ومشاهدها اثرا واضحا من حيث ظهور اثرا لخلفيات الصورة، ومشاهد الجاذبية البصرية كما في فن الفيديو.

ففي حين تمسك جيل الرواد بالتقنيات و الاساليب كالالوان التقليدية (الزيتية والكانفاس canvas،) كما لدى مهنا الدرة، محمود صادق، رفيق اللحام، ابراهيم ابو الرب عزيز عمورة، عزيز عمورة شكل فان الجيل الثاني الذي بدأ نشاطاته في بداية الثمانينيات كان وسطيا في استخدام التقنيات الحديثة، ومن اولئك الفنانون، رهام غصيب، علي الجابري، جلال عريقات، يوسف بداوي، عبد السلام كنعان سعيد حدادين، عدنان يحيى، محمد الجالوس، محمد العامري، حكيم بقاعين، حسني ابو كريم، خليل كوفحي، محمد الجالوس، نوال العبدالله، عمار خماش، حسين دعسة غسان ابو لبن شكل، اما الجيل الثالث فلم يتخلى عن التقنيات التي مارسها الجيلين السابقين، ولكنه كان اكثر حماسا في استخدام التقنيات والاساليب الفنية المعاصرة ، ممثلة بفن الفيديو والانستليشن وفنون الاداء وفن البوب، فقد استخدم الجيل الجديد من الفنانين الكهرباء والحركة واجهزة عرض الفيديو وبرامج الكبيوتر ونظام التركيب ومهملات المواد والدمج بين العمل الفني والدعاية الفنية للموضة كما في عمل هيا عواد شكل(21) حيث تتناول اخر مختلف لمفهوم المرأة القائم على اللذة، وهي صورة مختلفة عن صورة المرأة في السبعينات والثمانينات، وبالرغم من ان تلك التقنيات تثير الاهتمام بذاتها وبسماتها غير انه من جانب اخر تضيف تساؤلات من خلال وضعا في مقارنات ومقاربات مع اعمال فنية عالمية، وتزامن ذلك بان الفنان الاردني من جيل الشباب اصبح يركز على الرمزي في نتاجاته الفنية، حيث الاشارات اللغوية لدى بدر محاسن وخالد الحمزة سماح حجازي ، ونجد مجموعة اخرى اهتمت بسياق الشكل البصري اللاشكلي عما لدى محمد العامري مهنا الدرة نوال عبدالله، اما كل من غسان مفاضلة واياد كنعان فقد اهتموا ببناء العمل الفني من خامات وبتقنيات متعددة بالتركيب الذي يثير تساولات جديدة حول المادة واعادة انتاجها وتحديدا لدى مفاضلة اما كنعان فالتركيب كان لديه من خلال تقنيات دمج الصور الفنية القديمة مع الصور الفنية المعاصرة من خلال التقنيات الرقمية

(21) احمد الخالدي، حرمان، تصوير فوتوغرافي وتعديل كمبيوتر

(22)هيا عواد ، الفن يقابل الموضة، اكريليك على كانفاس، 2011

وفي اشارة لذلك فقد ادت استخدام تلى الوسائط الجديدة في بنية الصورة في الفن الاردني الى الرتكيز على اتجاهين، الاول ركز على مادة الصورة الفنية كبينية فيزيائية اكثر مما تضمنه من اعتبارات مفهومية وتعبيرية، ومعظم المتعاطين مع هذا الاتجاه هم جيل الفنانين الشباب، وبالتالي لعبت الظروف والمتغيرات السياسة والميديا الكثيفة بظهور نزعة تفكيكية في بنية الصورة بجانبيها الذهني والبصري، وبدورها عملت النزعة التفكيكية في بنية الصورة في الفن الاردني عملت على تحطيم

بنية التشخيص والشكل الواقعي، والابتعاد عن البساطة والانتقال للمعقد والمركب الى مستوى غير متناهي، ومن الفنانين الذين عرفوا باتجاههم التجريدي اللاشكلي الفنانين محمد العامري شكل(23).

اما الاتجاه الثاني فقد اهتم بالمفهوم وركز على حالات تعبيرية تعلقت بمعاناة الانسان المعاصر وقضايا المرأة والاشارة الى معاناتها وبدر محاسنة وجمان النمري شكل(24، 25) واهتم فيه الجيل الثاني وجيل الشباب، وترافق مع ذلك توجهات فنية واسلوبية تناسب موضوعاتهم، استخدم من خلالها تقنيات الصوير الفوتوغرافي والفن الانشائي

(23) محمد العمري، تجريد، 2002 ، طباعة (25) جمان النمري، المرأة، فن إنشائي، 2016 (23)بدر محاسنة ، **بلا** عنوان ، تصوير فوتوغرافي 2009

النتائج

- اهتم الفنان الاردني في البنية التركيبية للصورة اكثر من اهتمامه بالمفهوم التعبيري، برغم التطور في لغة التعبير لدى كثير من الفنانين، وقد اعطى ذلك انطباعا بان بعض الفنانين(الفنانين الشباب) كانوا يبحثون عن توازنات بصرية مع موضوعاتهم ومع التحولات الثقافية، ونتج عن ذلك تطور لغة التعبير وقد من خلال الاساليب الفنية الجديدة، فقد ارتاد الفنان الاردني الاساليب المعاصر التي انسجمت مع التحولات المعاصرة البنية الفكرية للفنان الاردني، فقد ظهرت اساليب الفن الانشائي والمفهومي والفيدية وفن الجسد ولاداء والطباعة والفن الرقمي وغيرها من الاساليب التي ساهمت الى حد كبير بالانشغال بامكانيات تلك التقنيات وخوض التجريب من خلالها، و الى العزوف عن تمثيل الموضوعات المحلية بشكل مباشر.
- اهتم الفنان الاردني بموضوعات تركز على ما هو جديد ومثير وانقلابي على الالتزامات اجتماعية، وذلك انطلاقا من الدور الاجتماعي والسياسي الضاغط الذي مورس على الفن الاردني خلال حقب سابقة
- زيادة نسبة الحرية في الممارسات الفنية بفعل حالة الانفتاح وتاثير انتشار حالات الانفتاح الثقافي والحرية الفنية، وخصوصا لدى الفنانات الاردنيات، حيث زاد عدد الفنانات الاردنيات في الوسط الفني بشكل ملحوظ، واثر ذلك في حجم التعرض لموضوعات المرأة

- كان للتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتكنولوجيا الاتصالات اثرا واضحا على تحول القيم الفكرية في الفن الاردني، حيث وجهت مساراته وموضوعاته، ووجد الفنان الاردني ان استخدام الاساليب الفنية و الوسائط الاكثر معاصرة هي اكثر امكانية في التعبير عن سابقاتها التقليدية ، واكثر تفاعلا مع الجمهور .

- تنوعت اللغة البصرية من حيث الاساليب والمواد الفنية والخامات تلبية لتطور الفكر الفني الاردني المعاصر.

- تحول فن التصوير من الاتجاهات التشخيصية المباشرة وغير المباشرة الى الاتجاهات التجريدية واللاشكلية الاكثر، مع التحول عن الالتزام بالقضايا المحلية (التقليدية) .
- اتجه الفن الاردني الى ادخال بعض الرموز البصرية العالمية التي لها قابلية الفهم عالميا، وتمثل ذلك ب تبني تقنيات الصورة المعاصرة ووسائطها.

المصادر

_ ابوزريق، محمد، **الثابت والمتحرك في الحركة التشكيلية الاردنية**، جريدة صوت الشعب، عمان ، 25 نيسان 1990.

- ابوزريق، محمد، **بانوراما الفن التشكيلي الاردني**، وزارة الثقافة، عمان 1991
- امهز محمود ، **التيارات الفنية المعاصرة**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، 1996
- برقاوي ، منال ، **الفن الاردني المعاصر والعوامل المؤثرة فيه**، ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 2008
- بني خالد، محمود، **نظم التاثير في الخزف الاردني**، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، 2001.
- جانيت، **سيكولوجيا الثقافة(دراسات ثقافية وسيسيولوجية في طرق الرؤية)**، مجلة عالمة المعرفة، العدد، 341، الكويت، 2007.
- جوهر، ليلى ، **الفن المصري المعاصر** تاريخ وحضارة- مجلة عود الند.

http://laylajouhar.maktoobblog.com/1604073/- 11: 15- 1-05- 2012

- حماد، ذيب، **الفن التشكيلي المعاصر في الاردن** عمان دار فيلاديلفيا، *1978*
- سالم، محمد، **لتشخيصية الجديدة في الفن المعاصر**، رسلة ماجستير غير منشورتن جامعة اليرموك، 2009.
- شمعون، مقابلة شخصية بتاريخ 2- 7- 2012
-
- شمعون، عبد الرؤوف، **قدمات لدراسة التجربة الفنية التشكيلية في البدايات** ، جريدة الدستور، 3-10-1986، م- 14، الاردن
- صادق ، محمود، **الفن التشكيلي الاردني**، الناشر، وزارة الثقافة، عمان، 1996
- علي، وجدان، **الفن الاردني المعاصر**، المتحف الوطني للفنون الجميلة، عمان، 1996.

- الفار ميسون، **تجربة الفنان الاردني خالد الحمزة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 2009.
- المفلح ، دعد، **الفنانين الرواد في الاردن**، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الروح القدس، بيروت، 2001.
- بليخانوف جورج- **الفن و التصوير المادي للتاريخ**: تر جورج طرابيشي ط1 دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت 1977
- مفاضلة، غسان، **تجربة الفن التشكيلي الاردني**، وزارة الثقافة، عمان الاردن، 2012.
- مفاضلة، مقابلة شخصية بتاريخ 18- 11- 2017.